مجلة دورية تعرف بجمهورية ألمانيا الاتحادية AL-LIQA 3/ Mai-Juni 1992

# scala
# اللقاء

الاقتصاد

## آفاق التطور في الولايات الجديدة

آخر

## عاصمة الذكريات

التقنية الدقيقة

## التقنية العالية على المستوى المجهري

تقرير من إشبيلية

# إكسبو 92

موضوعات أخرى: عيد الأقلام. الدرب الوطني الألماني. بيرتي فوغتس.

# نعم الشركاء

يقام حفل كبير في غرفة الصناعات اليدوية راين ـ ماين في فرانكفورت. أما مناسبة الحفل فهي بلوغ رئيس الغرفة، معلم النجارة هورست آبت، الخامسة والستين من عمره، وهي السن التي يحال فيها الناس في ألمانيا إلى التقاعد. إلا أن حياة الحرفيين العاملين في الصناعات اليدوية التقليدية المستقلة تختلف في نواح عديدة عن حياة المستخدمين في المجتمع الصناعي الحديث. فالنشاط الحرفي يحتاج إلى الروح المبدعة والموهبة العملية، ويتطلب اتخاذ المبادرات الشخصيّة والاهتمام بتعليم النشء الجديد حتى بعد تجاوز سن التقاعد الرسمي، سن الخامسة والستين. وهذا بالذات هو العمل الذي يزاوله هورست آبت بطريقة خاصة من خلال منصب الشرف الذي يحتله في الإدارة الذاتية للصناع اليدويين. وبإقامة حفل عيد الميلاد تشكر غرفة الصناعات اليدوية لرئيسها ما فعله في هذا المجال. لكن هورست آبت لم يصافح في يوم تكريمه هذا زملاءه الكثيرين وحسب، بل لقد فوجئ بالتهاني الطيبة التي قدمها له شخصياً وفد غرفة الصناعات اليدوية في فاس، المغرب. ومن الواضح أن هؤلاء الضيوف لم يأتوا من بلدهم البعيد كي يقدموا التهاني فقط، بل إنهم سيقومون أيضاً خلال إقامتهم في ألمانيا أسبوعاً كاملاً بالتخطيط للمرحلة القادمة من التعاون مع الغرفة الألمانية التي يقيمون معها علاقة توأمية.

تقوم منذ خمس سنوات روابط تعاون بين غرفة الصناعات اليدوية في منطقة فرانكفورت الواقعة على نهر الماين وغرفة الصناعات اليدوية في منطقة فاس الواقعة شمال جبال الأطلس الوسطى. وكان الوزير الألماني السابق للتعاون التنموي يورغن فارنكه قد دعا إلى إقامة هذا التعاون. ومالبث رئيس الغرفة هورست آبت أن تبنى الفكرة وأبدى استعداده لإقامة تعاون يتجاوز حدود القارة الأوروبية، قائلاً: «علينا أن نطّلع أيضاً على ما يحصل في العالم الخارجي، ولايجوز أن نتصرف وكأننا نعيش لوحدنا في هذا العالم». ولم ينس أن يضيف قوله، إن هذا الاطلاع يوفر الفرصة للتخلص من الرتابة ولاكتساب خبرات جديدة. وهكذا عُهدت إلى الاقتصادي الدكتور أولرش دالدروب مهمة البحث عن شريك مناسب وراء البحار. وكان أن وجده في أعماق المغرب العربي، في مدينة فاس حيث تمتاز الصناعة اليدوية بتقاليد عريقة يزيد عمرها عن ألف عام، ولكنها لم تحصل، نتيجة لتطورات اقتصادية وسياسية مختلفة، على الحوافز التي تحثها على التكيف مع حركة التصنيع. إذ إن الصناعات اليدوية المغربية ظلت، حتى خلال المرحلة الاستعمارية، محافظة على نظام التعليم الثنائي الذي يعتمد على تعلم المهنة على يد المعلم الذي أخذها بدوره عن أبيه أو عن معلم آخر. وفي عام 1963 أعلن الملك الحسن الثاني إطلاق الحرية في مزاولة المهن حسب النموذج الأمريكي. ومع هذا فإن نحو 45 بالمائة من المشاغل اليدوية، التي انضمت نقاباتها الحرفية طوعياً إلى عضوية غرفة الصناعات اليدوية، لم تزل حتى يومنا هذا تدرب نشأها بنفسها. ونظراً لأن الصناعات اليدوية تعتبر، إلى جانب الزراعة، أهم قطاع يوفر العمل لكثير من الشباب الذين لا يحملون مؤهلاً علمياً، قررت غرفة الصناعات اليدوية راين ـ ماين إقامة التعاون مع فاس. ومنذئذ أصبحت الفكرة التي تقوم عليها المنظمات المستقلة ذات الإدارة الذاتية، ألا وهي «الرعاية، والنصح، والتشجيع، والتوجيه»، أساساً لمساعدة الحرفيين في فاس على حل مشاكلهم اليومية. ولم يكن هناك أي تخوف من الاختلاف الثقافي أو المشاكل اللغوية، وذلك بفضل توفر الخبرات المكتسبة من التعاون مع أناس ينتمون إلى ثقافات أخرى. إذ إن ثلاثين بالمائة من المتدربين في فرانكفورت هم من الأجانب. كما أن التدريب والتأهيل المهني هما من نقاط القوة التي تتميز بها غرفة الصناعات اليدوية راين ـ ماين، إذ يوجد لديها مركزان كبيران لهذا الغرض. إضافة إلى ذلك فقد كان بين الحرفيين المغاربة عدد كبير ممن يتكلمون اللغة الألمانية لأنهم كانوا في يوم من الأيام قد اشتغلوا في ألمانيا.

عندما عرض الألمان رغبتهم في التعاون تقبلت فاس هذا العرض بحماس كبير. وعند إجراء مقارنة بين نظامي الصناعات اليدوية الألماني والمغربي، تبين وجود عدد كبير من الأهداف المشتركة. وما تبتغيه الغرفتان هو تحويل هذه الأهداف إلى واقع فعلي عن طريق تبادل الخبرات والمدربين. ويشكل بناء مركز التدريب المهني في فاس بداية جيدة لهذا التعاون. فإنه بإمكان الحرفيين المغاربة أن يتدربوا فيه، في البداية على أيدي زملائهم الألمان وفي وقت لاحق على أيدي مدربين مغاربة، على الطرق والتقنيات الحديثة. كما يتعلمون أيضاً أصول المحاسبة التجارية وتنظيم المستودعات وسياسة التسعير. وبعد تقديم الامتحان في المنظمة ذات الإدارة الذاتية يحصل المتدربون على شهادة سيجري عما قريب

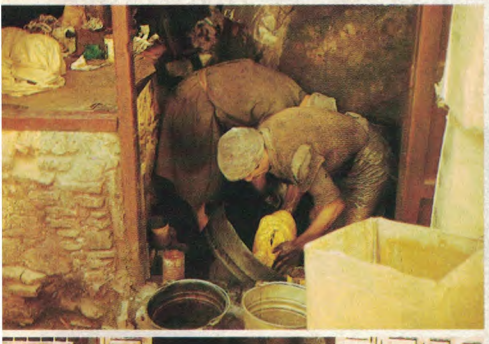

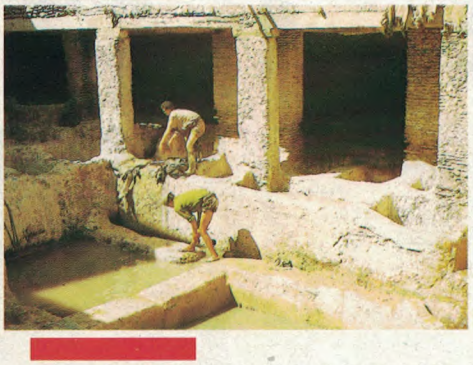

*داخل مركز التأهيل المهني في فاس: درس عملي على منصة فحص المضخات الحاقنة (إلى اليمين) وعلى محرك تجريبي (إلى اليسار). الصور الصغيرة: الصناعات اليدوية التقليدية في المغرب (من اليمين والأعلى: دباغون، دهانون، مشغل للحياكة، محل للخياطة، صناعة المراجل، صناعة الصحون).*

**تقيم غرفة الصناعات اليدوية راين ـ ماين علاقة توأمية مع غرفة الصناعات اليدوية في فاس وذلك منذ خمس سنوات. وتدعم كلّ من وزارة التعاون الاقتصادي الألمانية والدولة المغربية التعاون بين هاتين المنظمتين النقابيتين اللتين يزيد عمرهما عن عدة قرون.**

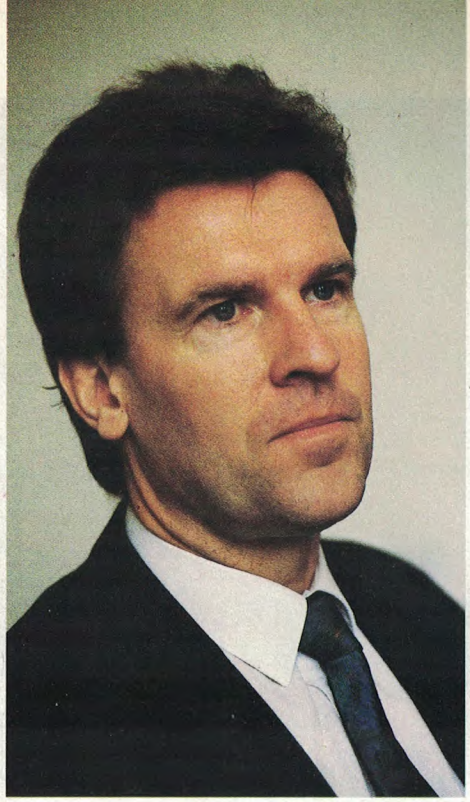

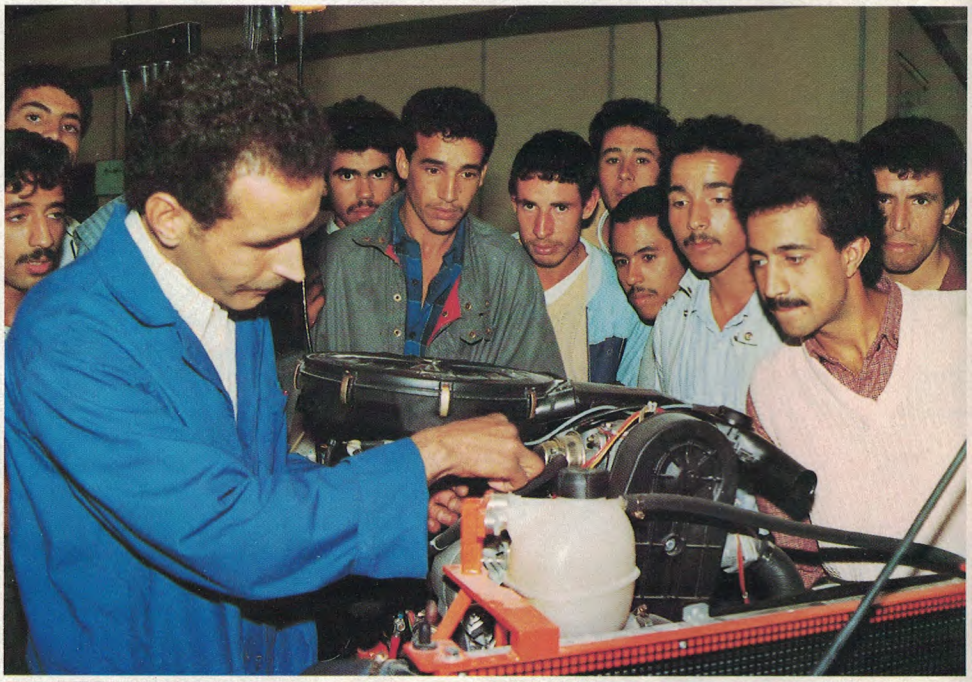

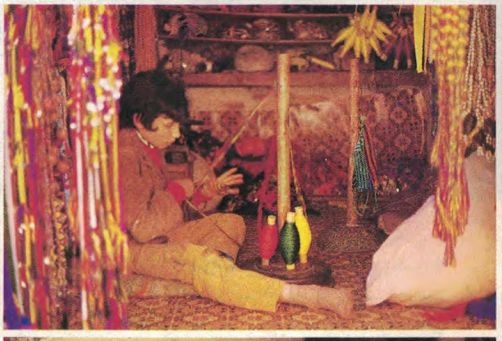

*الاقتصادي الدكتور أولرش دالدروب (الصورة العليا) وجد الشريك المناسب لمشروع غرفة الصناعات اليدوية راين ـ ماين، في فاس حيث تمتاز الصناعات اليدوية بتقاليد عريقة يزيد عمرها عن ألف عام. قبل عام واحد جرى تدشين مركز التأهيل المهني في فاس.*

الاعتراف بها رسمياً من قبل الدولة. ويتخرج من المركز، الذي تم تدشينه قبل عام واحد، أكثر من 500 حرفي مغربي كل عام بعد إجراء دورة تدريبية عملية. وقد بدأ المركز بأربعة أقسام هي: قسم صناعة الأبواب والنوافذ الخشبية وقسم النجارة الفنية وقسم ميكانيك السيارات وقسم اللّحام. وسيتم إنشاء أقسام أخرى في المستقبل.

أما المشتركون في الدورات فإنهم يأتون من كافة أرجاء البلاد. ويحتوي قسم إصلاح السيارات، على الأخص، دوماً على معلمين فنيين جاؤوا من الأقاليم الأخرى، مثل المركز السياحي أغادير. وورشة إصلاح السيارات في فاس حديثة جداً إلى درجة أن فرع شركة مرسيدس في الدار البيضاء يرسل العاملين لديه للتدرب فيها. ومن الجدير بالذكر أن الصناع اليدويين المغاربة متعطشون للتعلم ومنفتحون على التقنيات الجديدة ومدركون تماماً أنها تواجههم باستمرار في حياتهم اليومية. يقول دالدروب معلقاً على هذه النقطة: «إن الكثيرين من أصحاب المشاغل الحرفية يعرفون معرفة دقيقة ماهي الأمور التي لا يقدرون عليها، ولذلك فإنهم يسألون بدقة عما يجب عليهم عمله لحل هذه المشكلة». وهم يدفعون رسوم الدورات ـ التي تغطي 30 بالمائة من التكاليف ـ بكل رحابة صدر. لكن مساعدات التنمية الألمانية وغرفة الصناعات اليدوية راين ـ ماين والدولة المغربية مازالت تتحمل القسط الأكبر من هذه النفقات. إلا أن الغرفتين التوأمين تبحثان سوية مع الدولة المغربية عن حلول أخرى.

وفي الوقت الحاضر تقوم لجنة من الأخصائيين بالتعاون مع وزارة الحرف اليدوية والشؤون الاجتماعية ووزارة التعليم التقليدي والأشغال العامة في الرباط بإعداد دراسة عن الطريقة التي يتم فيها نقل مهمة التدريب المهني من الدولة إلى مؤسسة مستقلة تؤدي عملها بطريقة فعالة. وإلى جانب هذه المشروعات المقبلة الملموسة يراود الشركاء الألمان حلم إقامة مركز للطاقة الشمسية في فاس، حيث يتمتع المغاربة بوفرة ما يتوق إليه زملاؤهم في المناطق الشمالية من الكرة الأرضية: ألا وهي الشمس.

ولا يقتصر التعاون على ما يقدمه الألمان في فاس من أفكار ومهارات وخبرات، بل إن الشركاء المغاربة يأتون أيضاً بانتظام إلى فرانكفورت لمتابعة تدربهم وللاشتراك في دورات عملية في الشركات الكبرى. وفي الوقت الحاضر يتدرب في ألمانيا شخص من فاس متخصص بعلم الكومبيوتر، كي يشرف فيما بعد على بنك المعلومات الجديد الذي يحصر حالياً 25000 مشغل منتم إلى عضوية الغرفة. والزملاء المغاربة ضيوف يلقون الترحاب في مركز التدريب المهني في فرانكفورت، نظراً لما يجلبونه معهم من نفحات من العالم الخارجي إلى الحياة اليومية التي تنغمس فيها طبقة البورجوازية الصغيرة.

يقول هورست آبت: «لقد استفدنا، نحن في راين ـ ماين، كثيراً من تجربتنا مع زملائنا المغاربة. لقد تعلمنا كيفية التعامل مع الوقت بطريقة أخرى». ففي بعض الأحيان يكون من الأجدى فعلاً حل المشاكل بطريقة زملائنا في المغرب: عن طريق التحلي بمزيد من الصبر وأخذ مزيد من الوقت، واتباع أسلوب التنسيق والتشاور بدلاً من اتخاذ القرار عبر جهاز منظم تنظيماً هرمياً ويخضع لقواعد صارمة. ويرى أولرش دالدروب أيضاً التأثيرات الإيجابية للتعاون. صحيح أن الأعمال الملقاة على عاتق المسؤولين قد ازدادت ازدياداً كبيراً، إلا أن مثل هذا التعاون يوسع الأفق توسيعاً كبيراً أيضاً. وفي الآونة الأخيرة أقامت الغرفة علاقة توأمية أخرى، مع بولونيا. ويقول دالدروب، إن أعضاء الغرفة قد أصبحوا، مقارنة بالماضي، أكثر انفتاحاً. فهم لا يفوّتون فرصة تتيح لهم النظر إلى ما وراء الحدود. وهكذا قام نحو 40 عضواً في نقابة الأعمال الصحية بتنظيم رحلة دراسية إلى المغرب في نهاية عام 1991. وبالطبع فإن ما استحوذ على اهتمامهم لم يقتصر على الحياة في وسط ثقافي آخر، بل قاموا أيضاً بزيارة زملائهم في الغرفة التوأم ودخلوا معهم في نقاشات مستفيضة عن شؤون حرفتهم.